# Bible Study

## The Book of Genesis

## Chapter 11

## سفر التكوين - الاصحاح الحادي عشر

**Fr. Jacob Nadian**
**St. Bishoy Coptic Orthodox Church**

**الاصحاح الحادي عشر: برج بابل وبلبلة الألسنة**

**"وكانت الأرض كلها لسانًا واحدًا ولغة واحدة. وحدث في ارتحالهم شرقًا أنهم وجدوا بقعة في أرض شنعار وسكنوا هناك. وقال بعضهم لبعض هلم نصنع لبنًا ونشويه شيًا، فكان لهم اللبن مكان الحجارة brick for stone، وكان لهم الْحُمَرُ مكان الطين asphalt for mortar. وقالوا: هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجًا رأسه بالسماء، ونصنع لأنفسنا اسمًا لئلا نتبدد على وجه كل الأرض"**

**[4 - 1]**

- إن كان الله قد تدخل لتجديد العالم بمياه الطوفان، فعوض أن يستجيب الإنسان بالحب والاتكاء على صدر الله اتكأ على ذاته، وأراد أن يقيم لنفسه برجًا من صنع يديه يحتمي فيه من قرارات الله نحوه.
- وكأن هذا البرج يمثل الفلسفات المعاصرة، خاصة الوجودية، التي ترى في الله أنه يكتم أنفاس الإنسان ويحرمه من حريته، وكأن مجد الله يقوم على مذلة الإنسان، وقوة الله على حساب كرامة بني البشر، فحسبوا أنه لا مناص من التخلص من هذا الإله بتأليه الذات والهروب من الله للتمتع بكمال الحرية.

- أما وقد سقط الإنسان في العصيان خسر لغة الحب والوحدة، فانشق الإنسان حتى على نفسه فصار لجسده لغة غير لغة روحه، ودخل في صراع داخلي مرّ.
- لم يعد يستطيع الإنسان أن يتحدث مع الله بفرح وبهجة ولا أن يشترك مع السمائيين في ليتورچياتهم ولا أن ينسجم حتى مع الخليقة غير الناطقة.
- فقد الإنسان اللسان الواحد واللغة الداخلية الواحدة حتى وإن بقيت البشرية زمانًا تنطق بلسانها المادي لغة واحدة! لهذا كان لزامًا أن تنهار وحدة اللغة الظاهرة بعد أن انهارت وحدة لغة الداخل. وكأن ما حدث على أثر محاولة بناء برج بابل لم يكن إلاّ ثمرة طبيعية وكشفًا للأعماق الداخلية أن الإنسان فقد اللسان الواحد واللغة الواحدة، أي أن ما حدث من بلبلة للألسنة إنما جاء ليكشف البلبلة الداخلية، حتى متى ارتبك الإنسان بسبب البلبلة ينظر إلى الداخل أولاً طالبًا وحدة لغة القلب والروح قبل وحدة لغة اللسان الظاهر.
- بعد الطوفان حيث استقر الفلك على جبال أراراط، ارتحلوا شرقًا حيث سهل **شنعار**، أي سهل دجلة والفرات الذي يقع جنوب شرقي الجبل. في السهل وجدوا المناخ مناسبًا لعمل **اللبن** الأحمر، بحرق اللبن بعد تجفيفه في الشمس كما يحدث حاليًا في بلاد المشرق. أما **الْحُمَرُ** الذي استخدموه فهو نوع من القار المعدني متى جمد يدعى بالزفت، وهو يكثر في منطقة الفرات.

Mud bricks for building-clay houses

- كانت خطتهم البشرية هو تدبير إقامة مدينة وبرج مرتفع حتى إذا ما حلّ الطوفان مرة أخرى، يجدون لأنفسهم ملجأ من تأديبات الله القاسية، وكما قيل عن مدن الكنعانيون: **"مدن عظيمة محصنة إلى السماء" (تثنية 1: 28)**.

- لم يكن الشر في إقامة المدينة ذاتها أو الرغبة في بناء برج شاهق، وإنما غاية هذا العمل هو: **"نصنع لأنفسنا اسمًا لئلا نتبدد على وجه كل الأرض"**، وكأنهم لم يثقوا في ميثاق الله مع أبيهم نوح وحسبوا الله غير أمين في مواعيده. هذا ومن جانب آخر كان يليق بهم عوض هذا الفكر أن يرجعوا إلى الله بالحب فيجدوا فيه مدينتهم السماوية، وحصنًا حقيقيًا، وبه ينالون اسمًا لا على وجه الأرض فحسب وإنما حتى في السماء!

- برغبتهم في بناء مدينة أرضية تحميهم من غضب الله رفضوا المدينة السماوية، التي في جوهرها هي ارتماء في حضن أبيهم السماوي. ويرى القديس أغسطينوس أن نمرود هو الذي أسس هذه المدينة التي دعيت بابل (تكوين 10: 9، 10)، قائلاً: ["بابل" تعني "بلبلة وارتباك"، التي أسسها نمرود الجبار؛ فحينما تحدث الكتاب المقدس عنه قال أن بداية مملكته كانت بابل (تكوين 10)، وأنه كان لبابل السلطة على بقية المدن بكونها عاصمة أو مقرًا ملوكيًا بالرغم من أنها لم تبلغ المقياس الموضوع لها بكبرياء مؤسسها وشره]

- ثم يقول: [كانت الخطة أن ترتفع مبانيها لتبلغ السماء، سواء كان المقصود بذلك بناء برج عال أكثر من المباني الأخرى، أو إقامة كل الأبراج هكذا، وذلك كما نتحدث بصيغة الفرد عن "جندي" فنقصد الجيش كله... ولكن ماذا قصد هؤلاء المختالين بأنفسهم المتجاسرين؟ كيف ظن هؤلاء أن يقيموا عملاً مرتفعًا ضد الله، عندما يشيدوه فوق كل الجبال والسحاب المنتشر في الجو؟ أي تشامخ روحي أو مادي يقدر أن يؤذي الله؟ الطريق الآمن الحقيقي للسماء يشيد بالاتضاع الذي يرفع القلب لله وليس ضد الله كما قيل عن هذا الجبار: **"كان جبار صيد أمام الرب" (10: 9)**. لقد أساء البعض فهم هذا التعبير بسبب غموض الكلمة اليونانية والتي لم تترجم "ضد الرب" بل أمامه، مع أن الكلمة تحمل المعنيين "ضد" و "أمام". استخدمت في المزمور بمعنى "أمام" **"هلم ... نجثو أمام الرب خالقنا" (مزمور 95: 6)**، وفي أيوب بمعنى "ضد" **"حتى ترد على الله... That you turn your spirit against God" (أيوب 15: 13)**. لذلك يفهم هنا أن الصياد كان "ضد الرب"... ماذا يعني بالقول "الصياد" إلاّ المخادع والمقاوم ومهلك حيوانات الأرض؟ فإنه هو وشعبه أقاموا هذا البرج ضد الرب، معبرين عن كبريائهم الشرير، وبعدل عوقب شرهم بواسطة الله حتى وإن كانت خطتهم لم تنجح. ولكن ما هي طبيعة العقوبة (التي سقطوا تحتها)؟ إن كان اللسان هو آلة السيادة، لذلك حلت العقوبة عليه، حتى أن الإنسان الذي لم يرد أن يفهم الله مقدمًا الوصايا، يصير هو نفسه غير مفهوم عندما يصدر الأوامر].

"فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما. وقال الرب: هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه. هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض. فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض فكفوا عن بنيان المدينة. لذلك دعي اسمها بابل لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الأرض" [5 - 9]

- بسبب الكبرياء فقد الإنسان الوحدة الجامعة، كما يقول القديس أغسطينوس: [خلال المتكبرين انقسمت الألسنة، وخلال الرسل المتواضعين اتحدت الألسنة].

- وبسبب الكبرياء أيضًا فقد الإنسان وحدته الداخلية، فإن كان في كبريائه لم يفهم لغة الله المملوءة حبًا، فثمر هذا لا يفهم الجسد لغة الروح ويكون للروح لغة تضاد لغة الجسد، وكما يقول الرسول بولس عن الإنسان خارج دائرة الروح القدس واهب الوحدة: "لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون" (غلاطية 5: 17). أما قول الكتاب: "فنزل الرب لينظر المدينة والبرج الذين كان بنو آدم (البشر) يبنونهما"، فيعلق القديس أغسطينوس قائلاً بأن الذين يبنون هم بنو البشر: [لم يكونوا أبناء الله، إنما كانت هذه الجماعة تعيش بطريقة بشرية، والتي ندعوها "مدينة أرضية"].

"Therefore its name is called Babel, because there the Lord confused the language of all the earth; and from there the Lord scattered them abroad over the face of all the earth"

Genesis 11:9, NKJV

- أما عن القول "نزل الرب لينظر"، فلا يعني المفهوم الحرفي للعبارة، [فإن الله بكامله في كل موضع ولا يتحرك من مكان إلى آخر، إنما يُقال هكذا ينزل عندما يفعل شيئاً غير عادي على الأرض، وكأنه بهذا تصير حضرته ملموسة.
- بنفس الطريقة، بالقول "لينظر" لا يعني أنه يتعلم شيئًا جديدًا، إذ لا يمكن أن يجهل الله شيئًا، إنما يُقال ينظر ويعرف بالمعنى الذي به يجعل الآخرين ينظرون ويعرفون]. الله من قبيل محبته يتحدث معنا بلغتنا البشرية لكي نستطيع أن نفهم تدابيره وأسراره قدر ما نحتمل. إنه يتنازل فيتفاهم معنا باللغة التي نستطيع نحن إدراكها. يرى القديس أغسطينوس أن الله ينزل خلال نزول الملائكة إلينا بكونهم مسكنًا له، وعاملين مع الله (1 كورنثوس 3: 9).

"هذه مواليد سام: لما كان سام ابن مئة سنة ولد ارفكشاد بعد الطوفان بسنتين. وعاش سام بعدما ولد ارفكشاد خمس مئة سنة وولد بنين وبنات. وعاش ارفكشاد خمسا وثلاثين سنة وولد شالح. وعاش ارفكشاد بعدما ولد شالح أربع مئة وثلاث سنين وولد بنين وبنات. وعاش شالح ثلاثين سنة وولد عابر. وعاش شالح بعدما ولد عابر أربع مئة وثلاث سنين وولد بنين وبنات. وعاش عابر أربعًا وثلاثين سنة وولد فالج. وعاش عابر بعدما ولد فالج أربع مئة وثلاثين سنة وولد بنين وبنات"
[10 - 17]

- ويشرح القديس أغسطينوس سبب ذكر نسل سام بعد الحديث عن الطوفان وإنشاء مدينة بابل مباشرة مبيناً أنه كما جاء من نسل حام من يقيم بابل رمز المدينة الأرضية، هكذا جاء من نسل سام من يقيم مدينة الله فيقول: [كان من الضروري أن تحفظ سلسلة الأجيال النازلة من سام لأجل الكشف عن مدينة الله بعد الطوفان، إذ سبق عرض الأجيال النازلة من سام قبل الطوفان. والآن بعد أن كشف الكتاب المقدس عن المدينة الأرضية أي بابل أو البلبلة (الارتباك) يعود إلى الأب سام ليخلص الأجيال النازلة منه حتى إبراهيم، محددًا سن كل أب عند إنجابه الابن المذكور في السلسلة وسني حياته كلها].

"وعاش فالج ثلاثين سنة وولد رعو. وعاش فالج بعدما ولد رعو مئتين وتسع سنين وولد بنين وبنات. وعاش رعو اثنتين وثلاثين سنة وولد سروج. وعاش رعو بعدما ولد سروج مئتين وسبع سنين وولد بنين وبنات. وعاش سروج ثلاثين سنة وولد ناحور. وعاش سروج بعدما ولد ناحور مئتي سنة وولد بنين وبنات. وعاش ناحور تسعًا وعشرين سنة وولد تارح. وعاش ناحور بعدما ولد تارح مئة وتسع عشرة سنة وولد بنين وبنات" [18 - 25]

- يرى القديس أغسطينوس أن الخط الذي يصل بين سام وإبراهيم استمر أن يتكلم العبرية بينما الفروع الأخرى اتجهت إلى لغات أخرى هؤلاء الذين يُقال عنهم: "وولد... بنين وبنات". فكان كل أب ينجب ابنًا يتسلم الميراث والرجاء في وعد الله واللغة بينما كان بقية البنين والبنات يسلكون بروح آخر وبلغة تغاير لغة أبيهم.

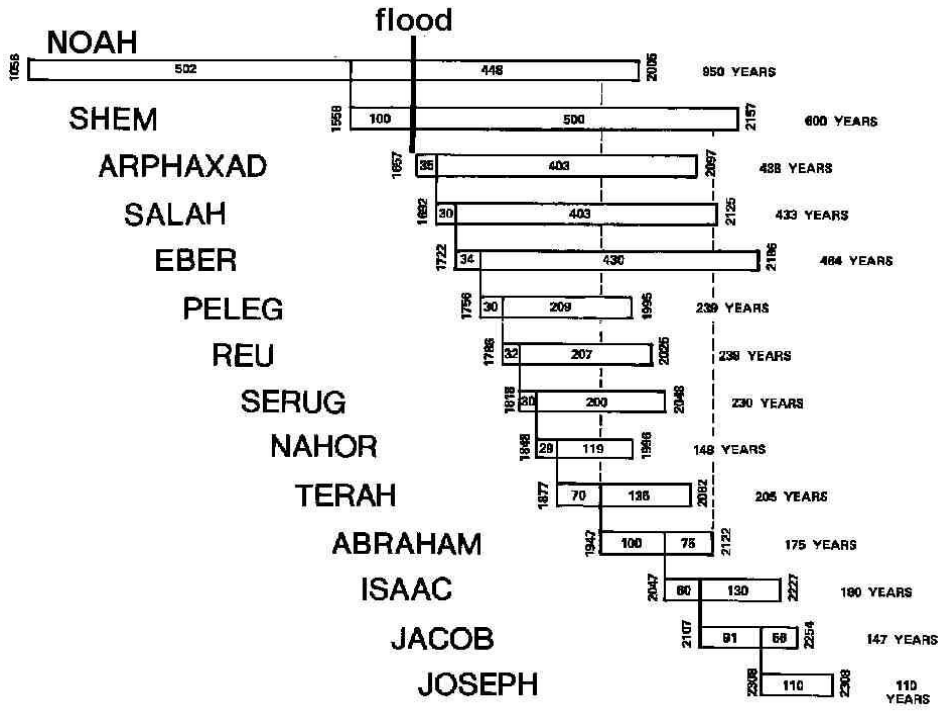


"وعاش تارح سبعين سنة وولد آبرام وناحور وهاران، هذه مواليد تارح: ولد تارح آبرام وناحور وهاران وولد هاران لوطًا. ومات هاران قبل تارح أبيه في أرض ميلاده في أور الكلدانيين. واتخذ آبرام وناحور لأنفسهما امرأتين اسم امراة آبرام ساراي واسم امرأة ناحور ملكة بنت هاران أبي ملكة و أبي يسكة. وكانت ساراي عاقرًا ليس لها ولد. وأخذ تارح آبرام ابنه ولوطًا ابن هاران ابن ابنه وساراي كنته امرأة آبرام ابنه فخرجوا معًا من أور الكلدانيين ليذهبوا الى أرض كنعان فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك. وكانت أيام تارح مئتين وخمس سنين ومات تارح في حاران" [26 - 32]

- بعدما عرض مواليد سام بلغ إلى إبراهيم وابن أخيه لوط اللذين وُجدا في أور الكلدانيين... وبظهور إبراهيم يظهر أب الآباء لينال وعدًا وميثاقًا من الله، بنسله تتبارك الأمم... الأمر الذي يتحدث عنه في الأصحاحات التالية.

- ظهر إبراهيم في أور الكلدانيين ويبدو أن عائلته أيضًا كانت تعبد آلهة غريبة، ولم يكن في العالم كله من يعبد الله الحيّ غير إبراهيم، إذ قيل: "آباؤكم سكنوا في عبر النهر منذ الدهر، تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور وعبدوا آلهة أخرى، فأخذت إبراهيم أباكم من عبر النهر وسرت به في كل أرض كنعان وأكثرت نسله وأعطيته إسحق" (يشوع 24: 2، 3).

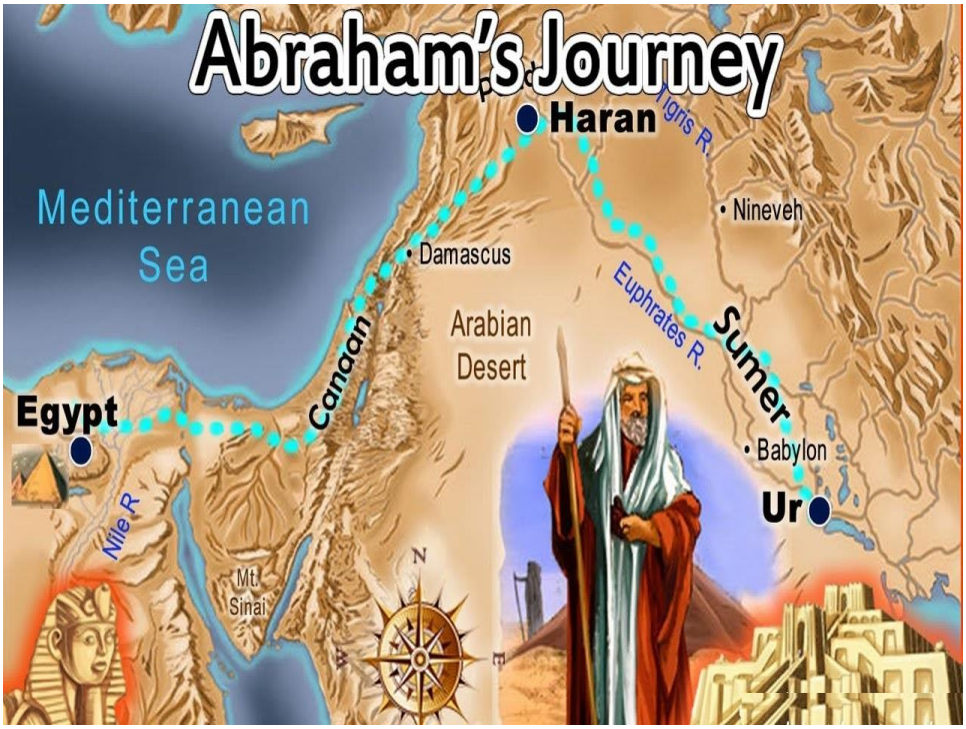
Abraham's Journey
Haran
Tigris R.
Mediterranean Sea
Nineveh
Damascus
Euphrates R.
Arabian Desert
Canaan
Sumer
Egypt
Babylon
Ur
Nile R.
Mt. Sinai
N

وقال الله ليكن نور فكان نور
(تكوين 1: 3)
God said,
"Let there be light"; and there was light (Genesis 1: 3)